

الأسس الفكرية للأدب العربي الحديث

Mehmet YALAR

Doç. Dr.; U.Ü. İlahiyat Fakültesi

الملخص: إننا قد تناولنا بالبحث في هذا المقال الخلفية الفكرية للأدب العربي الحديث و انتهينا من خلاله إلى أن مكونات هذه الخلفية عبارة عن الأسس الثلاثة التالية تقريبا. وهي الفلسفة الوضعية و الزعة المسيحية و الفكرة الوثنية الأسطورية، بما حوتها من عناصر ثانوية أخرى، كالأستشراق و التبشير على سبيل المثال. وقد ألمنا بما مع شيء من التفصيل داخل الإطار العام لهذا العمل. و استهللنا المقال بتمهيد مختصر لتوفير أرضية فكرية مناسبة لإحلال هذه الأسس محلها المتين الذي لا بد منه. ثم جعلنا لكل من هذه الأسس فصلا مستقلا. فصار العمل عبارة عن تمهيد و ثلاثة فصول.

Summary

Ideological Foundations of Arabic Literature

This article attempts to investigate the ideological foundations of the Arab Literature, arguing that it is based upon three main currents of thought; namely, positivist philosophy, Christianity, and mythological paganistic thought. It also touches upon the missionary activities and

the orientalist way of thinking within the same framework. The article consists of three parts. The first part is designed to present an ideological background to the above-mentioned currents of thought and the rest will analyze the other currents of thought that has influenced the Arab Literature.

Key Words : Modern Arabic Literature, positivism, Christianity, Orientalism, myth genres

الكلمات المفتاحية: الأدب العربي الحديث، الوضعية، المسيحية، الاستشراق، الأسطورة

التمهيد

إنّ الأدب العربيّ الحديث ككافة الآداب العالميّة الأخرى ، لا بدّ له من أن يكون قد استمدّ من مناهل فكريةٍ عصريّة وحديثة . إذ لا شكّ في أنّ تحديث أيّ عمل أدبيّ سواء أكان إقليمياً أم عالمياً، يبدو من المستحيل تحقّقه ما لم يكن متغدياً فكرياً من هذه المناهل، كما هو المعتقد السائد في هذا الموضوع لدى البيئات الأدبيّة. حيث إنّ الحدائث الأدبيّة بمعناها الأوسع، ما هي إلّا وليدة الحدائث الفكرية مباشرة .

إذن ما هي نوعيّة تلك المناهل وما هي الأسس الفكرية الحديثة التي نبع منها الأدب العربيّ الحديث وتطبع بطابعها؟ فبغية الحصول على أجوبة وافية لهذين السؤالين الرئيسيين وما يتفرّع منهما من التساؤلات، رأينا من المفيد أن نتناول الموضوع تحت عنوان : " الأسس الفكرية للأدب العربيّ الحديث" . ولعلّ هذا العمل المتواضع المحصور داخل إطار ضيق و محدود، يكون قد حظي باهتمام المعنيين بهذا المجال ويفيدهم.

و للتمكّن من تحديد صحيح ووثيق في هذا الموضوع، لا بدّ من النظر إلى ما مرّ به الأدب العربيّ من المراحل التاريخيّة والثقافيّة والعلاقات المختلفة الجوانب مع الغرب. لأنّ الحدائث بمعناها العامّ مفهوم مرتبط أساساً بالحضارة الغربيّة و بسياقاتها التاريخيّة وما أفرزته تجارها في مجالات مختلفة. و يصل في النهاية إلى أنّ الحديث عن حدائث عربيّة مشروط تاريخياً بوجود سابق للحدائث الغربيّة و بامتداد قنوات التواصل بين الثقافتين.¹ بدأ بالإحتلال الفرنسي لمصر وتدرّجاً بالإحتكاك الحادّ بين الثقافتين العربيّة والغربيّة المتضادتين من حيث طابعهما الأصليّ ، مع العبور بالحربين

¹ القرني، محمد عرض، للحدائث في ميزان الإسلام، 18

العالميتين واللتين كانت تأثيراتهما جذرية و عميقة جدًا على المستوى العالمي عموماً والفكر والأدب العربيين خصوصاً.

هذه التأثيرات التي خلقت في التفكير العربي جواً ثورياً أصولياً ضدّ المعتقدات و بالتالي المناهج التقليدية الموروثة. وأخصب أرضية نمت فيها حصائل هذا الجوّ الثوري هو ما قام به الأدباء العرب الحدائثيون من الأعمال الأدبية ، بما فيه الشعر والنثر على حدّ سواء.

فمن خلال هذه التطوّرات المذهلة و الهدامة البتّة في آن واحد، يمكن تحديد هذه الأسس الفكرية على النحو التالي:

الفصل الأول

الموقف الوضعي

إنّ ما عبّرنا عنه بـ: "الموقف الوضعي"، هو في الحقيقة و بتعبير أدقّ "الفلسفة الوضعيّة"، التي كانت ذروة الحركة الفكرية التي تقدّمت الثورة الفرنسيّة و هيأت لها. وهذه الفلسفة من حيث إطارها الاصطلاحيّ التامّ، تنسب عادة إلى الفيلسوف الفرنسي أوجست كومت August Comte (1798-1857). ومعناها أنّ المعرفة المفيدة الوحيدة هي معرفة الأحداث الوضعيّة . أي تلك الأحداث التي تدلّ التجربة على أنّها نافعة أو التي توجد حسب قانون طبيعيّ وليس لوجودها أيّ سبب آخر. ولهذا لا ينبغي للعقل أن تضع جهوده سدى بالتفكير فيما وراء الطبيعة ، بل عليه أن يتخذ من التجربة أساساً للنتائج التي يصل إليها.

و هذه النظرية تميّز بها الجوّ الفلسفيّ بأوروبا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . ونجد آثارها في فرنسا بصفة خاصّة في النقد الأدبيّ و فلسفة التاريخ وفقه اللغة.² وحيث إنّ لم يكن للمفكرين والمثقفين والفنّانين والأدباء العرب من دور سوى التلقّي والقبول والتبنيّ والترويج للمنشأ الغربيّ كما يعترف به الحدائثيون العرب أنفسهم³ فإنّ هذا النقد الأدبيّ المستمدّ من فلسفة كونت الوضعيّة جدير بأن يُجذب إليه الانتباه. لأننا نراه بكامل مضمونه لدى بعض الأدباء والنقاد الحدائثيين الطليعيين العرب أمثال أدونيس (علي أحمد سعيد) و زوجته خالدة سعيد و غيرهما ممن يشاطروهم الفكرة الحدائثية نفسها.

² وهبة، مجدي - المهندس، كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، بيروت، 1984، 435

³ محمد جواد، إبراهيم، الحدائث في الفكر والأدب، مجلة النبا، العدد: 57، صفر، 1422 ، أيار 2001

وإليكم على سبيل المثال ما قالته خالدة سعيد مبدية رأبها في هذا الموضوع:

"يوم كانت للأشياء أرواح و إرادة يوم كان العالم مملكة الآلهة الجميلة والشريفة وكانت أحداثه صراعاً بين هاتين القوتين، كان الشعر مبعوثاً في العالم و كان الشعراء رؤاة لهذا الصراع. ويوم عاد العالم تفاعلاً كيميائياً باهتا ، يوم تقلص ظل الآلهة و عاد القمر كتلة حجرية بلا روح ، والمطرُ تكاثفاً ليخار الماء ، غدا الإنسان وحيداً وسط عالم جامد. فلا آلهة تستمع صلواته ولا آلهة تدبّر شؤونه و تمطر له المنّ والسلوى أو الطير الأبايل."⁴

فالكاتبة ببيانها هذا، تكون قد اتخذت لها من فلسفة كونت منهلاً فكرياً بحثاً حينما تحاول رفض المعتقدات الدينية مع شيء من السخرية حول بعض المعجزات الوارد ذكرها في القرآن الكريم. إذ إن هذه المحاولة تواجهنا من خلال تقويمها الأجرام والأحداث الكونية وفقاً لقوانين الطبيعة كما قد ورد في فلسفة كونت كمبدأ أساسي لها.

وهذا الموقف يبدو سائداً لدى جميع المفكرين والأدباء العرب الحديثين تقريباً. لأنّ الحدائنة قد أطلقت في عصرنا على التحوّلات الفكرية التي حصلت في العصر الذي تلا التهضة الأوربية بعد الثورة الفرنسية وسمّي بالعصر الحديث. ولذلك فإنّ الحدائنة ليست مذهباً أدبياً فقط ، ينحصر في الكتابة والقصة والشعر خصوصاً أو في الفنّ عموماً. وإنما هي مدرسة عريضة تشمل كلّ مجالات الحياة فكرياً و عقيدة وثقافة وأدباً وفتناً وسلوكاً وسيرة وقيماً ومفاهيم.

و في هذا الإطار يمكننا التمثيل ببعض ما قاله أدونيس — علي أحمد سعيد — (...-1930) المُنظّر الرائد للحدائنة العربية، مبيّناً رأيه في هذا الإتجاه بصراحة كما يلي : " هذا الذي أقوله فيما يتعلّق بالكتابة الشعرية الفرنسية — واقوله قصدياً ، لأنّ هذه الكتابة هي مرجعيتنا الحدائنية الأولى — ينطبق تماماً على الكتابة الشعرية العربية. "

وبعد التركيز والتصميم بهذا البيان على مرجعية الحدائنة الفرنسية للحدائنة العربية بالدرجة الأولى، يبادر أدونيس بالتوضيح حول فهم الحدائنة الغربية وماهيتها مدّعياً أنّ العرب قد أخطأوا في ذلك و محاولاً تصحيح هذا الفهم هكذا:

" أحبّ كذلك أن أشير إلى أننا أخطأنا منذ البداية في فهم حدائنة الغرب. لم ننظر إليها في ارتباطها العضوي بالحضارة الغربية بأسسها العقلانية خصوصاً. وإنما نظرنا إليها بوصفها أبنية

⁴ سعيد، خالدة، البحث عن الجنور- مدخل حول حركة الشعر الحديث -، دار مجلة شعر ، بيروت، 1960، 10- 8

وتشكيلات لغوية. رأينا تجليات الحدائث في ميدان الفنون والآداب ، دون أن نرى الأسس النظرية والمبادئ العقلية الكامنة ورائها.⁵ فمفاد كلامه بصراحة هو أنه لا ولن يمكن التحدّث عن حدائث أدبية عربية ما لم تتبع من مبادئ الفلسفة العقلانية و بالتالي الوضعية الغربية. وقد انتهج المنهج نفسه الجليل الأول من الحدائثين؛ أمثال بدرشاكر السيّاب (1926-1964) و نازك الملائكة (...-1926) و عبد الوهّاب البيّاتي (...-1926) العراقيين و خليل حاوي (-1925) 1982 ويوسف الخال (1917-1986) اللبنانيين وكثيرين غيرهم.

و من ناحية اخرى فإنّ خالدة سعيد لم تكتف بإبداء آرائها الشخصية فقط ، بل تطرقت إلى آراء أدباء و مفكرين ونقاد آخرين من المعاصرين العرب المعروفين، أمثال طه حسين(-1889 1973) و جبران خليل جبران (1883-1931)، متخذةً منهما مرجع تأييدٍ لآرائها بالعبارات التالية:

" إنّ التوجهات الأساسية لمفكرَي العشرينات تقدّم خطوطا عريضة تسمح بالقول إنّ البداية الحقيقية للحدائث من حيث هي حركة فكرية شاملة، قد انطلقت يومذاك . فقد مثّل فكرُ الرُّواد الأوائل قطعةً مع المرجعية الدنيّة والتراثية كمعيار ومصدر وحيد للحقيقة واقام مرجعين بديلين: العقل والواقع التاريخي. وكلاهما إنسانيّ ومن ثمّة تطوّرِي . فالحقيقة عند رائد كجبران أو طه حسين لا تُلتَمَسُ بالتقل ، بل تُلتَمَسُ بالتأمّل والإستبصار عند جبران و بالبحث المنهجيّ العقلانيّ عند طه حسين ."⁶

إنّ ما استدلت به هذه الكاتبة الحدائثية ، والحقّ يقال ، يُسلّط الصّوء على الأساس الأهمّ من بين الأسس الفكرية الرئيسية للأدب العربيّ الحديث من كلا جانبيه العقلانيّ والواقعيّ التاريخي. فهذان الجانبان هما العنصران الأصليّان للموقف الوضعيّ الذي نحن بصددده والذي تبنّاه الحدائثيون برمتهم تقريبا .

ولا شكّ في أنّ استدلال الكاتبة برأى طه حسين وجبران يستند إلى منطق صحيح من التّاحية الحدائثية . لأنّ طه حسين ، على حدّ تعبير حدائثيّ آخر، ما زال عميد الأدب العربيّ وأحد

⁵ أدونيس، بيان الحدائث، <http://www.jehat.com/arabic/bayanat/adonis.htm>

⁶ سعيد ، خالدة، الملاحم الفكرية للحدائث، مجلة فصول ، المجلد الرابع ، العدد الثالث ، القاهرة ، 26 ، 27

الأركان الأساسية في تكوين العقل العربي المعاصر، وصياغة الحياة الفكرية في العالم العربي، وملحماً أساسياً من ملامح الأدب العربي الحديث.⁷

بالإضافة إلى أن الحدائين العرب يصفون أعمال طه حسين بأنها معارك أدبية وفكرية من أجل التقدم والتخلي عن الخرافات والخزعبلات التي حاصرت وقيدت العقل العربي لعدة قرون، وأنها ما زالت من أهم الروافد التي يتسلح بها المفكرون العرب في مواجهة الحملات الارتدادية التي تطل برأسها في عصرنا حسب زعمهم.

أما بالنسبة لجران فإنّ ينوع أفكاره الفلسفية وبالتالي الأدبية، الأكثر تأثيراً في آثاره هو الفيلسوف الألماني الشهير نيتشه (1844-1900) Friedrich Nietzsche الذي يعتبر في طليعة المخترعين لبواكير الأفكار الحدائية في الغرب. حيث قام برّد عنيف ورفض جذري لمبادئ المسيحية وغيرها من الأديان و بالتالي الكنيسة ومعابد الأديان الأخرى وقيمها الأخلاقية، داعياً إلى قمعها وإقامة مبادئ إنسانية وتحررية، على حد تعبيره، محلها، وزاعماً أنّه الخالق والخليقة والقضاء والقدر، وأنه سيمضي بالإنسان إلى أبعد من الإنسان وأنه سيحرره من كلّ دين ودينونة وفضيلة ورذيلة وسيخطّم من أجل ذلك مقياس التأس وموازينهم.⁸

وقد سمى الباحث الأدبي حتا الفاخوري هذه المرحلة التي تطّعت بالطابع النيتشوي في أدب جبران بـ: "الزرادشتية الجبرانية" إفساحاً عن مدى تأثره بكتاب نيتشه المعروف عالمياً والموسوم: " هكذا تكلم زرادشت". ومضى الفاخوري قائلاً:

" وهكذا سيتكلم جبران . سيحاول التكلم كنيته . وإذا كلامه في مقالاته الثائرة التي جمعت فيما بعد في كتاب العواصف، وإذا كلامه في ديوانه الشعري " المواكب"، كلام فلسفي عميق ووقفة عنيفة أمام الوجود؛ وقفة تأملية، وقفة بركانية . كان نيتشه في نظر جبران جباراً بين البشر الأقزام."⁹

إنّ هذا التركيز الحادّ للهِجّة، على العقلانية والواقعية والثورة القائمة للقيم الدينية والتقاليد الموروثة، من خلال الإفصاح عن آراء الجيل الرائد من الأدباء والمفكرين العرب الحدائين

⁷ طه حسين أحد رواد الفكر التنويري: <http://www.annaharonline.com>

⁸ نعيمة، ميخائيل، جبران خليل جبران، بيروت، 1944، 125

⁹ الفاخوري، حتا، الموجز في الأدب العربي وتاريخه (I-IV) دار الجيل، بيروت، IV، 277، 266،

1411/1991

حول الأدب العربي الحديث ، حجة لا غبار عليها ، تؤيد بل تثبت مرجعية و أسية الفكرة الوضعية للأدب العربي الحديث ، بالإضافة إلى الأس الأخرى التي ستاوها .

لكنه يبدو أن المرحلة الحدائية التي انتهى إليها الأدب العربي الحديث اليوم من هذه التاحية ، لم تُطمئن حدّ الآن بعض الأدباء الحدائويين العرب ، فقام بمقارنة بين الحدائة في الغرب ، وهي ما تطمئن إليه نفسه ، وبين ما يسمّى بالحدائة ، على حدّ تعبيره ، في المجتمع العربي ، زاعما أن الحدائة في الغرب نشأت في تاريخ من التغيير عبر الفلسفة والعلم والتقنية . أما الحدائة العربية ، فقد نشأت ، حسب زعمه ، في تاريخ من التأويل؛ تاويل لعلاقة الحياة والفكر بالوحي الدّيني وبالماضي إجمالاً.¹⁰

فهذا الكاتب الحدائي المتطرف يصرّاني غير مطمئن إلى ما آل إليه الفكر العربي وبالتالى الأدب العربي من التطبع بالطابع الفكرى والأديب الغربيين والإصطباغ بصبغتهما ، لا لأنه يرفضهما ، بل لأنه يحسبهما غير كافيين . لأن أصحاب هذه الفكرة يفهمون من الحدائة رفض جميع المعطيات التراثية ، بما فيه مفهوم الوحي بكلّ محتوياته الإيمانية والأخلاقية والعملية ، مما له صلة بالحياة ، و بما فيه التجارب التاريخية فكريا و أدبيا كما مرّ آنفا .

وليس هذا سوى التفلسف بالفلسفة الوضعية التي تنكّر لها حتى صاحبها كوّنت شخصيا في أواخر حياته و حوّل نظريته إلى شبه ديانة على غرار الكنيسة الكاثوليكية، ومن جرّاء ذلك صار هدفا لهجمات أتباعه.¹¹

وقد أثار هذا الإنحياز الوضعي ردّ فعل المحافظين العنيف و غضبهم ، تجاه الحدائين بما فيهم طه حسين و أدونيس و غيرهم . حيث اتهموهم بالكفر و الإلحاد و الزندقة ، مما أدى إلى تظاهرات جماعية حاشدة في مصر طولب فيها بخلع طه حسين عن عمادة كلية الآداب بالجامعة المصرية و تحقّق ذلك فعلا .

¹⁰ أدونيس ، المرجع نفسه ، <http://www.jehat.com/arabic/bayanat/adonis.htm>

¹¹ وهبة، مجدي - المهندس، كامل، المرجع نفسه ، 435

الفصل الثاني

الترعة المسيحية

إن الأساس الثاني من بين الأسس الفكرية والعقائدية التي تشكلت الخلفية الفكرية للأدب العربي الحديث، هو التيار المسيحي الذي نرى آثارها بارزة في هذا الأدب من خلال الأعمال الأدبية التي قام بها الأدباء العرب المسيحيون، منذ أن بدأ الأدب الغربي يؤثر في الأدب العربي؛ بالإضافة إلى عدد لا يستهان به من المسلمين. وقد اوجدت هذه الآثار النصرانية مناخا نصرانيا يبدو في كتابات لويس شيخو (1859-1928) وسلامة موسى (1887-1958) وغالي شكري ولويس عوض و إلبا حاوي و خليل حاوي و سعيد عقل وجبرا إبراهيم جبرا (1920-1984) وغيرهم. ويكفي النظر في الشعر العربي الحديث، لنرى الرموز النصرانية والصور الإنجيلية التي استخدموها في منتجهم الأدبية بارزة بين سطورهم، على أن لا يكون هناك فرق بين الشعر والنثر. وقد امتدت هذه العناصر إلى نتاج شعراء مسلمين كثيرين أبرزهم بدر شاكر السياب وصلاح عبد الصبور(1951-1981).¹²

وحسب اعتقادنا فإنه من الممكن ردّ هذا الأمر إلى الأسباب التالية :

أولاً — هو أن الفكرة الغربية التي يستمد منها الأدب العربي الحديث ، تغذيتها عناصر الثقافة المسيحية بشكل أو بآخر . ولا يمكن تقييم الحضارة الغربية تقييما صحيحا إلا برعاية عناصرها الفكرية والثقافية التي تكوّنت و نضجت عبر مراحلها التاريخية. ولعلّ خير شاهد على هذا هو ما قام به الكاتب الفرنسي الشهير بول فاليري (1871-1945) Paul Valery الذي لا يشكّ أحد فيما أحرزه من المكانة الطليعية في موكب الحدائثين الأوروبيين، حينما أراد ذات يوم أن يشخص العقل الأوروبي فردّه إلى العناصر الثلاثة التالية:

أ — حضارة اليونان وما فيها من أدب وفلسفة وفنّ

ب — حضارة الرومان وما فيها من سياسة وفقه

ج — المسيحية وما فيها من دعوة إلى الخير وحثّ على الإحسان، حسب زعمه.

¹² بدر، عبدالباسط، مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي، جدة، 1985/1405، 95، 96

لكنّ الشيء الأهمّ الذي يرشدنا إلى ما تبناه الأدياء العرب الحدائون دوغما تميز بين المسيحيين منهم والمسلمين، من تأسيس الأدب العربي الحديث على العناصر المسيحية، هو هذا التعليق الذي قام به طه حسين حول مقولة فاليري ألافنة الذكر، هادفاً من وراء ذلك الإفصاح عن مبررات وجهة نظره الحدائية المزعومة. وهذا نصّ تعليقه:

" فلو أردنا أن نحلل العقل الإسلامي في مصر و في الشرق القريب أفتراه ينحلّ إلى شيء آخر غير هذه التي انتهى إليها تحليل بول فاليري؟ خذ نتائج العقل الإسلامي كلّها، فسترها تحلّ إلى هذه الآثار الأدبية والفلسفية والفنية . ومهما يقل القائلون فلن يستطيعوا أن ينكروا أنّ الإسلام قد جاء متممًا ومصدّقًا للتوراة والإنجيل.¹³"

ويبدو أنّ طه حسين لا يُسَطِّمُنه تطعيم الأدب العربي الحديث بالعناصر المسيحية و تطبيعها، بل يحرص على إثبات الوحدة البنيوية بين الإسلام والمسيحية أدبيا و عقائديًا و فنيًا و أخلاقيًا، لكن شريطة أن تكون المسيحية أصلا و الإسلام فرعا مبنيا عليه بكافة ما لديه من القيم. فيكون قد سلب الإسلام قيمه وجرّده عن جميع تراثه، بحيث لا يبقى للإسلام نصيب في الأدب والعقيدة والفلسفة والفن والأخلاق.

ومن المفيد أيضا الإشارة إلى أنّه لا فرق كثير في هذا الإطار بين التمسكين منهم بدین المسيح وبين الذين انحلت أواصرهم بهذا الدين اعتقاديا و عمليا. فهؤلاء لا يهتمهم من الأدب العربي شعره و نثره سوى عرويته و تليته للمفاهيم والمتطلبات العصرية من حيث الفكر و المواضيع والأحاسيس والأخيلة والصُور التي استلهمها من آداب الغرب وبالتالي من ثقافته المسيحية الأصل .

فالهمم بالنسبة اليهم هو الاستفادة من العناصر المسيحية واستغلالها كرموز تعبّر عن مآسيهم أو ملاهيم الروحية والوجدانية و تصلح لأن تُتخذ وسائل يتوصّل من خلالها إلى بعض الصُور الأدبية مصوّغة في قالب شعري أو نثري. فجيران — وهو من الأدياء المسيحيين — مثلا كأبرز شخصية في طليعة رواد الأدب العربي الحديث ، حينما يسمي بعض حكاياته و كتبه التي لا يشكّ أحد في قيمتها الفنية، بـ: "يوحنا الجنون"¹⁴ و " التي"¹⁵ و " يسوع ابن الإنسان"¹⁶ و "

¹³ حسين، طه، مستقبل الثقافة في مصر، القاهرة، 1993 ، 30

¹⁴ جيران، خليل جبران، عرائس المروج، بيروت، 1994، 87

¹⁵ جيران النبي، بيروت، 1988، 138

¹⁶ جيران، يسوع ابن الإنسان، بيروت، 1992، 314

الطفل يسوع¹⁷ و " يسوع المصلوب " و " مساء العيد¹⁸ و يضع المسيح في محور مواضيعها مانحا إياه الدور الرئيسيّ كي يمثّل نموذجاً مثاليّاً للحياة المتخيّلة لديه، لا يقصد من وراء ذلك كلّهُ سوى التوصل إلى رموز أو وسائل يستخدمها لمعالجة بعض المشاكل والتناقضات في الحياة الاجتماعية و الترويج عن النفس تجاه المضايقات النفسية و تكوين صورٍ جماليّة و فنيّة من خلالها. فالصيغة والفكرة مسيحيتان ، مهما اختلفت المرامي والمقاصد .

وليست هذه الرعة مقصورة على الأدباء العرب المسيحيين أمثال خليل مطران (-1872 1949) و خليل حاوي و يوسف الخال قادة الحركة الحداثوية في الشعر العربي المعاصر و كثيرين سواهم ، بل جاوزتهم وتسربت إلى أذهان المسلمين منهم أيضا. حيث استخدموا في أعمالهم الأدبية اليسوع والصلب والصليب واتخذوا منها رموزا شعرية يمكن مشاهدتها في القصيدة التالية للشاعر العراقي الحداثويّ عبد الوهّاب البياتي(1926-...):

ويصلبون الشَّمس في ساحات مدينتي

بالأمس مرّ من هنا

صليبه: غصنان أخضران

وفي السّماء

كانت نجوم الليل كالأجراس

كالصليان

تحلم في ألف يسوع

صليبه في ظلمة السّجون

يغتي طفله المصلوب في مزرعة الشّاه¹⁹

بالإضافة إلى ما قاله الشاعر الحداثويّ الناقد بدر شاكر السّياب والذي يعدّ من أبرز المنظرين في مجال الشعر العربيّ الحديث، في الأسمية الشعرية التي دُعي إليها و أحيائها في بيروت حينما قدّم للمختارات الشعرية التي القاها، بهذه الكلمة:

17 جبران، دمنة وابتسامة ، بيروت ، 1995 ، 176

18 جبران، العواصف ، بيروت، 1994 ، 50 ، 131

19 داود، أنس، الأسطورة في الشعر العربيّ الحديث، القاهرة، 1975 ، 252، 253

" لو اردتُ أن أتمثل الشاعر الحديث، لما وجدتُ أقرب إلى صورته من الصورة التي انطبعت في ذهني للقديس يوحنا. وقد افترستُ عينيه رؤياه وهو يبصر الخطايا السبع تطبق على العالم كأنها أخطبوط هائل. والحق أن أغلب الشعراء العظام كانوا طوال القرون أنماطاً من القديس يوحنا.²⁰

إن السيّاب في كلمته هذه قد اتخذ موقفاً جريئاً وصريحاً لا غبار عليه، حينما اختار صورة القديس يوحنا نموذجاً لا يبدل عنه، للشاعر المثالي المتجسّد في ذهنه، على حدّ تعبيره. ولم يقف عند هذا الحد بل تطرّق للخطايا السبع التي هي من أهمّ الأسس العقائديّة للمسيحيّة. على أنّه من السهل استكثار الأمثلة من هذا النوع والتي تدلّ ببداهة على المكانة الوظيفيّة المرموقة للعناصر والرموز المسيحية التي تلعب دوراً رئيسياً في تكوين مفهوم الحدّاة الذي يبني عليه الأدب العربي الحديث.

ثانياً — استباق عدد كثير من الأدباء العرب المسيحيين إلى الأخذ بزمام حركة التحديث للأدب العربي، وفي طليعتهم أدباء المهجر الذين لعبوا دورهم الريادي، والحق يقال، في هذا المجال. بالإضافة إلى الذين لم يغادروا بلادهم وواصلوا ممارستهم الملحة في متابرة، حول إنتاج أعمال أدبية أصيلة وذات طابع إبداعي. ونالوا بذلك إعجاب و تقدير الأوساط المعنية بالأدب، على الآ يكون هناك فرق بين المسلمين من المعجبين بهم والمسيحيين.

وهناك ثلاث أسر لبنانيّة نبغ من بينها أدباء مبرزون امتاز كلّ واحد منهم بدوره المصريّ في إنعاش و تحديث اللغة العربية و آداها شعراً و نثراً. وهي أسرة اليازجيين والبساتنة في أدب التثر مع إمامهم بنماذج رفيعة القدر من الشعر، وأسرة المعالفة في الشعر. وفي هذا الإطار لا بدّ من الإلمام بأمثال الشيخ ناصيف اليازجي (1800-1871) وابنه الشيخ إبراهيم اليازجي (1847-1906) و بطرس البستاني (1819-1883) وقريبه سليمان البستاني (1856-1925) و فوزي المعلوف (1899-1930) و شفيق المعلوف (1905-1986) و رياض المعلوف (1912-2002) وكثيرين غيرهم ممن يضيق المجال عن التنويه بأسمائهم قاطبة، فضلاً عن تفاصيل أعمالهم الأدبية.²¹

²⁰ السيّاب، بدر شاكر، الشاعر الحديث، مجلة شعر، س1، ع: 3، بيروت، 1957
²¹ للمزيد من التفصيل انظر: الفاهوري، حتّاء، الموجز في الأدب العربي وتاريخه، بيروت، 1991/1411، IV، 51، 113، 158، 192، 600؛ داغرأسعد، يوسف، مصادر الدراسة الأدبية، بيروت، 1983، III، 192-201، 2، III/1104-1097؛ قبيّش، أحمد، تاريخ الشعر العربي الحديث، بدون محل، 1971، 341، 345، 350،

ثالثاً - الأعمال الاستشراقية والتبشيرية

إنَّ الاستشراق اليوم بمناه الأوسع، يعني قيام الغربيين بدراسة تاريخ أُمم الشرق و لغاتها وآدابها وعلومها وعاداتها ومعتقداتها واساطيرها. ومع ذلك فإنَّ العناية بالإسلام و الآداب العربية والخطابة الإسلامية هي أهم ما يُعنى به المستشرقون اليوم، حيث لم يقطع منذ بدء هذه الحركة وجود أفراد درسوا الإسلام و اللغة العربية و توجهوا القرآن و بعض الكتب العربية العلمية والأدبية.

أمَّا بالنسبة لتاريخ نشوئه وما كان يراد به في مراحلها الأولى، فإنَّ المعقد السائد في هذا الموضوع هو أنه لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية ولا في أي وقت كان ذلك بالتحديد، كما صرح به الأستاذ مصطفى السباعي²² وأنَّ في العصور الوسطى كان يقصد به دراسة العبرية لصانعها باللاتين ودراسة العربية لصانعها بالعالم، حسب ما أفاده الأستاذ أحمد حسن الزيات.²³

أمَّا فيما يتعلق بالرعة المسيحية التي نحن بصددها، فإنَّ الاستشراق من هذه الناحية يبدو وكأنه امتداد طبيعي أو وليدة للحركة التبشيرية ، ال حد يصعب ، أو يتعين أصبح يستحيل، على الباحث الفصل بينهما من حيث نوعية نشاطهما وأهدافهما، علما بأنَّ الرجال الأوائل اللذين بدأوا بهذا العمل، كانوا رهباناً تعلموا اللغة العربية في مدارس الأندلس وتقفوا من خلالها بالثقافة الإسلامية وبالتالي العربية. وبعد ان عادوا إلى بلادهم نشروا ثقافة العرب و مؤلفات أشهر علمائهم أمثال الكرازي و أبي القاسم الزهراري و ابن رشد و ابن سينا وغيرهم. هذا بالنسبة لا جزى اصحاباً من أواخرالقرن التاسع الميلادي الى اواخر القرن الثاني عشر تقريبا.

ولكن الرحلة الصخرية التي تشكل المطافاً حيوياً وجاءت بثمارها المستهدفة في هذا المجال، هي مرحلة ما بين اواخر القرن السابع عشر ومنتصف القرن العشرين، أي مرحلة استمرت ثلاثة قرون على الأقل. فقد نشأ عبر هذه القرون الثلاثة رجال غربيين مستشرقون و مبشرون في آن واحد. وكان الهدف الأهم أو الوحيد هؤلاء هو التسرب الى أذهان الناس باستخدام قوات التراث العربي الإسلامي والسيطرة من خلالها على الرأي العام العلمي والفكري والأدبي في العالم العربي والإسلامي ، وبالتالي تأمين أنصارهم من بين العرب وغيرهم من المسلمين، كي يندفعوا عن

22 السباعي، مصطفى، الاستشراق والمستشرقون، بيروت، 1985/1405 ، 13
23 الزيات، أحمد حسن، تاريخ الأدب العربي، بيروت، 2001/1422، 378

أعمالهم الاستشراقية. فالهدف في الحقيقة كان تيشيريا بحثاً يُبغى من ورائه النُّيلُ من سمعة الإسلام وتشويبه في نفوس المسلمين، لإدخال الوهن في عقيدتهم و زعزعة ثقتهم الذاتية في كل ما يتصل بالإسلام من علم و ادب و تراث.²⁴

وقد حصل ذلك فعلاً. حيث نشأ في العالم العربي نفسه في القرن العشرين مفكرون وأدباء ممن تتلمذوا على هؤلاء المستشرقين، فعظموهم واتخذوهم أسوة لا بديل عنها وعدّوا الدفاع عن آرائهم ميزة عالية تجدر بكل فخر. وفي هذا الإطار يمكن التمثيل بكتاب "المستشرقون" للأستاذ نجيب العقيقي، والذي مجدهم فيه، ومقدمة كتاب "في الأدب الجاهلي" لطف حسين، حيث يقول فيها:

"وكيف تتصوّر أستاذاً للأدب العربي لا يلمّ ولا ينتظر ان يلمّ بما انتهى إليه الفرنج، أى المستشرقون، من النتائج العلمية المختلفة حين درسوا تاريخ الشرق وادبه و لغاته المختلفة، و إنما يلمس العلم الآن عند هؤلاء الناس. ولا بد من التماسه عندهم حتى يتاح لنا نحن أن نهض على أقدامنا ونظير بأجحتنا ونستردّ ما غلبنا عليه هؤلاء الناس من علومنا و تاريخنا وآدابنا."²⁵

وصرّح الأستاذ السباعي في تعليقه على الآراء التي سردها طه حسين في كتابه الآنف الذكر، بأن هذه الآراء ليست سوى ترديد محض لآراء الغلاة المستشرقين المتعصّين ضدّ العرب والإسلام، أمثال مارجوليوث D. S. Margoliouth (1858-1940)²⁶ المستشرق الإنجليزي الشهير والذي يعدّ ألدّ أعداء الإسلام.

ويبدو السباعي متأكدًا من أنّ طه حسين نقل آراء هذا المستشرق كلّها في كتابه المذكور ونسبها الى نفسه وليس له في الكتاب رأي جديد نتيجة بحثٍ علمي قام به أو تعب في سبيله.

ويمكن الاستكثار من أسماء المتطوّعين العرب لصالح المستشرقين، والمتحلين لآرائهم، متحفّظين عن التصريح بنسبة تلك الآراء الى أصحابها الحقيقيين، إمّا خيانة منهم للأمانة العلمية و إما خوفاً من رد فعل الرأي العام العربي والإسلامي. ولعلّ أبرز مثال لذلك هو ما فعله أحمد أمين (1883-1954) الذي وصفه بعض مؤيديه بأنه كان من أكبر الدّاعين الى التجدّد في الأدب واللغة ونبذ القديم والأخذ بأسباب الإصلاح الحديثة، وآله كان أحد قادة الفكر العربي في العصر الحديث

²⁴ السباعي، المصدر نفسه، 16

²⁵ حسين، طه، في الأدب الجاهلي، القاهرة، الطبعة الحادية عشرة، بلا تاريخ، 16-18

²⁶ السباعي، المصدر نفسه، 7، 8

و أحد ائمة الأدب المعدودين.²⁷ فقد انتحل آراء المستشرقين في كتابيه فجر الإسلام²⁸ و ضحي الإسلام دون أن ينسبها إليهم. وقد أفتى هذا الانتحال الأستاذ السباعي في كتابه القيم "السنّة و مكانتها في التشريع الإسلامي". حيث خصّص الفصل السابع منه لهذا الموضوع.²⁹

ولابدّ من الإلمام بأنّ هذا التأثير لم يكن مقصورا على من قدّمنا أسمائهم من مُناصري الحركة الإستشراقية التبشيرية، بل فرض نفسه في عبارات من يوثق بهم فيما لهم من الحسّاسية حول الحفاظ على المفاهيم والقيم التراثية، مثل الأستاذ أحمد حسن الزيّات والأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي. حيث شهدا للمستشرقين بأنهم كتبوا البحوث القيمة في تحقيق الألفاظ وتحرير الأصول وتصحيح الأخطاء و كشف الجهول على الأسلوب العلمي الصحيح والمنهاج المنطقي الحديث. فكانوا في ذلك قدوة لمعلّمي اللغة ومؤرّخي الأدب من العرب في تحضير المادة وتنظيم البحث وتوثيق الدقّة وتحرّي الصواب وتقصي الفروع.³⁰

فهذه هي شهادة الأستاذ الزيّات لهم حرفيا، دون تعرّض لأيّ غرض من أغراضهم التبشيرية العدائية، وآتي أشرنا إليها باختصار. أما الأستاذ خفاجي فيلمّ إلاما عابرا و ضعيفا بإسائتهم الى الشرقيين، ولاسيّما العرب والمسلمين، بالنسبة الى ما ذكره عما قاموا به من الخدمات العظيمة وآتي اختصرها في أربع مواد.³¹

ولسنا نرفض أو نلجّد ما ذكره الأستاذان من الأعمال المنهجية التي قاموا بها و أسهموا من خلالها في تأسيس و تطوير الأسلوب المنهجي و تشكيل نموذج بناء للمفكرين والأدباء العرب فيما يتعلّق بنتائجهم الفكرية والأدبية. و لكننا نؤمن بضرورة الإشارة الى ما كانت تستكمنه تلك الأعمال من النوايا السيئة التي تظهر ببداهة جعلتها نقطة اتفاق بين باحثي هذا الموضوع الخائدين. فلا بد إذا من التنبيه عليها، وأخذ الحيطه والحذر تجاهها، عسى أن يمكن تحويل ماقد وضعوه شبكة يأسرونا بها أذهانا و أبدانا، الى حكمتنا الضالّة المنشودة.

وحيث إنّ المجال يضيق عن الخوض في تفاصيل أكثر، فاننا نكتفي بهذا المقدار حول ما للاستشراق من دور في كيان التركة المسيحية كأساس فكريّ للأدب العربي الحديث.

27 داغر، المصدر نفسه، II، 135

28 أمين، أحمد، فجر الإسلام، بيروت، الطبعة العاشرة، 1969، 208-224

29 السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، بيروت، 1985/1405، 236-362

30 الزيّات، المصدر نفسه، 379

31 خفاجي، محمد عبد المنعم، دراسات في الأدب العربي الحديث و مدارسه، بيروت، 1992/1412، II،

الفصل الثالث

الفكرة الوثنيّة الأسطورية

لا شك في أنّ الحضارتين اليونانية و الرومانية هما الأساسان الحقيقيان للحدادة الأوروبية المعاصرة. وقد كانت الحضارة اليونانية تحوي فنونا وفلسفات ونظريات سياسية وتجريدات علمية نظرية. ولذلك فانه قد عنيت أوروبا في همتها الحديثة بتتبع التراث اليوناني في كل جوانبه، و دراسته دراسة مستفيضة. لأنه المنهل الذي تتغذى منه أوروبا في العصر الحديث.

وفي داخل هذا الإطار، فإنّ أوّل ما يلفت النظر بالنسبة للفنون الغربية هو أنّها فنون وثنية لا تنشأ الآ في بيئة وثنية ولا تنشيء إلا أنسانا وثنيا في نهاية المطاف. وانطلاقا مما أنتجته هذه الفنون الوثنية من الروائع الفنية، فإن الناس قد ظنّوا ان الفن و بالتالي الأدب ينبغي ان يكون وثنيا.

أما الظاهرة الأكثر غرابة في الفن الغربي المتسم بالسمة الوثنية، هي أنه عبر تاريخه الطويل مشغول إما بالآلهة و إما بصراع الآلهة و الإنسان.³² وقد تجسّدت هذه الظاهرة في الفكرة التي قبلت بدورها كيان العناصر الأسطورية الخيالية، من آلهة و غيرها. لأن الأسطورة مع أنّها سرد لا تتفق عناصره مع الحقيقة الملموسة، إلا أنّها محاولة لتفسير صعوبة فهم النظم الكونية كما تبدو للإنسانية، إما من الناحية الأخلاقية أو من الناحية الميتافيزيقية. علما بأن السرد الذي يتكره التفسير الأسطوري قد يضيف عليه الإنسان قيمة دينية واضحة عن طريق تجسيد القوى الطبيعية غير المفهومة، في شكل آلهة أو كائنات خارقة للعادة.³³ وهذا الأمر منطبق تماما على الإتجاهات الوثنية التي تبنتها الأمم القديمة، والتي اشرنا إليها ضمن النموذج اليوناني.

أما عن مكانة الأسطورة في الحضارة الغربية وعلاقة الأدب بالأسطورة، فإن للباحثين فيهما آراء نريد الإلمام بها مع شيء من الاختصار. إن الفكرة السائدة، هي أنّ الأسطورة تحظى في الحضارة الغربية بمكانة بارزة. لأنّها دعامة فكرية يستند إليها الدارسون عند البحث في شتى فروع المعرفة، من علوم و آداب وفنون وأديان.³⁴ وقد استدلّ على هذا الرأي بما يلاحظ من اهتمام

³² قطب، محمد، جاهلية القرن العشرين، مكتبة وهبة، 1964/1384، 24، 222؛ التطور و الثبات، مكتبة

وهبة، بلا تاريخ، 282

³³ وهبة - المهندس، المصدر نفسه، 32

³⁴ شاهين، محمد، الأدب و الأسطورة، بيروت، 1996، 14

بالغ يوليه الباحثون للأسطورة، وبتخاذها نقطة انطلاق يُركّز عليها في السير نحو الكشف عن مكونات الكون.

والسبب في ذلك أنّ الأسطورة منذ القرن التاسع عشر بدأت تشكل في الغرب مجالاً خصياً لملم شتى، تذهب فيها مذاهب مختلفة وتخرج نتائج في علم الاجتماع وعلم النفس و علم الإنسان و في اللغة والتّدين و الفكر لكاور و في الفلسفة والتاريخ والأدب. وقد تبع ذلك تغيير موقف العرب من الأسطورة في النصف الأول من القرن العشرين، بعد اطلاعهم على القياس الأدباء الأوروربين للأسطورة في مذاهب و أنواع أدبية مختلفة، و بعد وقرّفهم على فهم الغرب للأسطورة و درسه لها في علم خاصّ بها. ويدّعي بعض النقاد العرب الخطّائين أنّ هذا العلم الخفاص، والذي يحته علم الأساطير—Mythology، علم مقدّم مطوّر يقدم للأسطورة تفسيرات مبنيّة. و عندئذ أدركوا أنّها ليست أباطيل وأدركوا ما فيها من غنى الدلالة و تمدد التفسير و إمكان البعث والتجديد و فهم الإنسان من خلالها فهما آخر فيه عمق و فيه جدّة، على حدّ تعبيره،³⁵.

ولفما يتعلق بالعلاقة بين الأدب و الأسطورة، فإن أبسط ما يمكن أن يقال في هذا المجال، حسب رأي بعض الباحثين، هو أنّ الأدب يتجه الى الأسطورة لكي يقلل من حجم التداول بالملول اللغويّ أو العقليّ، وليريد من رصيده التعبيري عن طريق الصورة. إذن فالصورة هي الأرضية التي يلقي عليها كل من الأدب والأسطورة. أنّا مايعمل الأدب يتطّاع الى الإقتران بالأسطورة، فهو ووقوف اللغة عند حدّ معين في نقل أسرار هذا الكون الذي نميش فيه.³⁶

وحيث ثبت أنّ للحضارة الغربية مساهم جدرية تغذي بالفكرة الوثنية الأسطورية، فإنّ تتّبع الأدب العربي الحديث بالفكرة نفسها يصبح أمراً متحتماً لا مفرّ منه. لأنه كما يتّبع سابقاً، لا يمكن فصل الطغفئة الفكرية التي تكمن وراء الأدب العربي الحديث عن النهل الفكريّ الذي يغذي حضارة الغرب، وبالتالي أدبه. وليس هذا مجرد ادعاء لم يدلّل بالأدلة، بل العكس هو الحقيقة التي لا غبار عليها.

35 زياد محيّد، أمد، الأسطورة، الفصول الأربعة (مجلة ثقافيّة شهرية)، ليبيا، 1991/1401، العدد 56،

25-24

36 شاھين، المرجع السابق، 19، 20.

وإلّكم بعض النماذج التي لا بد من سردها كبراهين نلقي من خلالها الضؤ على مقوم فكريّ هامّ من مقومات الأدب العربي الحديث:

أولاً- إنّ رواد الحركة الحدائفة في مجال الأدب العربي، ولا سيّما المنحدرين من المسيحية، والذين يقطنون لبنان و سوريا، كانت لهم أواصر فكرية عميقة بالثقافة الفنيقية، بما فيها الأساطير، وخاصة أسطورة العنقاء. حيث حاولوا تطوير ايديولوجية فينيقية في الأدب العربي اللبناي، مدّعين أنه ليس هناك جامع بينهم وبين العرب المسلمين سوى المشترك اللغوي، وأنهم شعب غير منحدر من أصل عربي، لا عنصرا و لا ثقافة، بل انتماؤهم الحقيقي ليس إلا الى الأصل الشرق أوسطي ثقافة والفيثقي عنصرا، كما صرح به الباحثة يعقوب م. لاندوا.³⁷ وتكفي الإشارة في هذا الإطار إلى الكتب التالية، و التي ألقها أدباء عرب معاصرون مسيحيون:

— العرب في التاريخ و الأسطورة لرثيف خوري (1967-1913)

— من أعماق الجبل لصلاح لبكي (1955—1906)

— أساطير شرقية لكرم البستاني (1966—1894)

— جبل الآلهة لعبد الله حشيمة (1972—1897)

— لبنان إن حكى لسعيد عقل

— أحلام في النهار لميشال سليمان³⁸

ثانياً- إنّ المعتقد السائد لدى الأوساط الحدائفة هو أنّ البيئات العربية لا تخلو من تراث أسطوريّ شعبيّ متنوع، و أنّ الأدب العربيّ، لاسيما المعاصر والحديث، لا يخلو من آثار أسطورية موضوعة، تستلهم في جانب منها بعث الأبحاد الغابرة، و تهدف في جانب آخر إلى بثّ مشاعر الإحياء الحضاريّ، واليقظة على قيم العصر وُمشله في شتى الميادين والحقول.³⁹

37 LANDAU, Jacob M., (Die Geschichte der modernen Arabischen Literatur, 20 Jahrhundert) Modern Arap Edebiyatı Tarihi (20. Yüzyıl), Çev. Bedrettin Aytaç, Birinci baskı, Ankara, 2002

38 يعقوب، إيميل بديع - عاصي، ميشال، المعجم المفصل في اللغة والأدب، بيروت، 1987، I، 99

39 داغر، المرجع السابق، II، 655، 656، III، 198، 199، 390، 391، 843، 844؛ يعقوب - عاصي، المرجع السابق، I، 99؛ قبيش، المرجع السابق، 697

ثالثاً- لم يبق الأمر محصوراً في هذا الإطار الضيق، بل أجرى تأثيراته الفعالة على العرب المسلمين من قاموا بأعباء قيادة الحركة الحدائرية في مجال الأدب العربي. وهذه أسماء المبرزين منهم مع نماذج من استخداماتهم للأساطير واتخاذها وسائل لإحياء الروح الأدبية و إنعاشها، على أن تلعب دورها الحيوي في تحديث الأدب العربي:

أ) بدر شاكر السياب

إن هذا الشاعر العراقي الحدائري يُعد في طليعة مستخدمي الأساطير. و في الحقيقة يبدو انه أكثرهم استخداماً للأساطير في أشعاره دون أي تمييز بين مناهلها التاريخية و الدينية. حيث بلغ عدد أنواع الأساطير التي استخدمها ابتداء من قصيدته " أنشودة المطر"⁴⁰ ستة و ثلاثين نوعاً. و قد تكررت هذه الأنواع في أشعاره المختلفة مأتين و سبع عشرة مرة.

فقد استخدم منها ما هو متعلق بصلب السيد المسيح — حسب زعم المسيحيين — حساً و ستين مرة و أسطورتياً تموز و عشتار زهاء أربعين مرة، مما يدل على تورطه في الأسطورة المسيحية والوثنية البابلية، إلى جانب استخدامه لقابل و هابل و سندباد كأساطير على مراتب مختلفة.⁴¹ فيكون الشاعر قد أغفل رفض القرآن للصلب و تصريحه بابني آدم على أنهما حقيقة تاريخية يمتنع تحوّلها إلى عنصر أسطوري موهوم حُمّل وظيفة رمزية فنية.

ب) عبد الوهاب البياتي

إن البياتي أيضاً من رواد الحدائرية الفكرية و الأدبية الذين لجأوا إلى استخدام الرموز الأسطورية و حاولوا من خلالها تحديث الفكر و الأدب العربيين و بالتالي الشعر العربي. كما نراه غير متحفظ عن التورط في الأسطورة المسيحية، حينما يستخدم الصلب و الصليب في قصيدته التي ذكرناها سابقاً.⁴²

ج) صلاح عبد الصبور

إن هذا الشاعر المصري الحدائري أيضاً له مكانة ملحوظة بين المستخدمين للأسطورة كوسيلة لتحقيق الحدائرية في الشعر العربي. حيث اتخذ من إحدى حكايات "ألف ليلة و ليلة"

40 السياب، بدر شاكر، ديوان أنشودة المطر، بيروت، 1942، 99

41 فضل، صلاح، أساليب الشعرية المعاصرة، بيروت، 1995، 79

42 داود، المرجع السابق، 252-253

شخصية أسطورية استخدمها رمزاً لافتيار القيم الأخلاقية في المجتمع وأفرغها في قصيدته التي سماها "مذكرات الملك عجيب بن الحصب" و غيرها من أشعاره الكثيرة⁴³

وليس من الصعب الاستكثار من أمثلة تدل بصراحة على تبني الحدائين المنحدرين من أصل إسلامي، استخدام الأساطير ذاتة حتى في منظماتهم الفنية، كجماعة أبولو الشعرية التي أسسها الشاعر المصري المسلم الدكتور أحمد زكي أبو شادي (1892-1955). حيث اختار لهذه الجماعة اسم " أبولو" الذي كان إسم إله النور و الفن و الجمال الأسطوري عند الإغريق

و لعل الأغرب من هذا هو ما فعله المرحوم عباس محمود العقاد (1889-1964)، حينما لم يعجبه هذا الإسم لعلة أنه إغريقي المعين واقتراح "القطارد" كاسم بديل عنه، مبرراً ذلك بأن العرب و الكلدانيين من قبلهم عرفوا رباً للفنون و الآداب و سموه بهذا الاسم. ⁴⁴ فالعقاد الذي ابتغى من وراء اقتراحه هذا مساهمة في تحرير العدد الأول من مجلة أبولو، باسم العروبة البحتة، لم يتخلص مثل غيره من التورط في الأسطورة الوثنية بشكل أو بآخر. إنه لا فرق بين الاختيارين من حيث خلفيتهما الفكرية والعقائدية. إذ كلاهما يتمتعان بطابع مشترك هو تريب الرموز الأسطورية، على أن تكون أرضية صلبة و منهلاً مباركا لانتعاش الأدب العربي من جديد و تحديثه.

المراجع

أدونيس، بيان الحدائنة، <http://www.jehat.com/arabic/bayanat/adonis.htm>

أمين، أحمد، فجر الإسلام، بيروت، الطبعة العاشرة، 1969

بدر، عبدالباسط، مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي، جدة، 1985/1405

جيران، خليل جيران، عرائس المروج، بيروت، 1994

_____، التبي، بيروت، 1988

_____، يسوع ابن الإنسان، بيروت، 1992

_____، دمعة وابتسامة، بيروت، 1995

_____، العواصف، بيروت، 1994

⁴³ درويش، العربي حسن، الينقد الأدبي الحديث، بلا محل، 1995، 209 و ما يليها

⁴⁴ قتيش، المرجع السابق، 233

خفاجي، محمد عبد النعم، دراسات في الأدب العربي الحديث و مدارسه (I-II)، بيروت،
1992/1412

داغراسعد، يوسف، (I-III) مصادر الدراسة الأدبية، بيروت، 1983

داود، أنس، الأسطورة في الشعر العربي الحديث، القاهرة، 1975

درويش، العربي حسن، النقد الأدبي الحديث، بلا محل، 1995

زيد محبّك، أحمد، الأسطورة، الفصول الأربعة (مجلة ثقافية شهرية)، ليبيا، 1991/1401، العدد
56

الزّيّات، أحمد حسن، تاريخ الأدب العربي، بيروت، 2001/1422

السباعي، مصطفى، الاستشراق والمستشرقون، بيروت، 1985/1405

_____ ، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، بيروت، 1985/1405، 362-236

سعيد، خالدة، البحث عن الجذور — مدخل حول حركة الشعر الحديث — ، دار مجلّة شعر،
بيروت، 1960

_____ ، الملامح الفكرية للحدائثة، مجلّة فصول ، المجلد الرابع ، العدد الثالث ،
القاهرة

السيّاب، بدر شاكر، ديوان أنشودة المطر، بيروت، 1942

_____ ، الشاعر الحديث، مجلّة شعر، س1، ع 3 ، بيروت، 1957

شاهين، محمد، الأدب والأسطورة، بيروت، 1996

طه حسين ، مستقبل الثقافة في مصر، القاهرة، 1993

_____ ، في الأدب الجاهلي، القاهرة، الطبعة الحادية عشرة، بلا تاريخ

محمد جواد، إبراهيم، الحدائثة في الفكر والأدب، مجلّة النبأ، العدد:57، صفر 1422

طه حسين أحد رواد الفكر التنويري: <http://www.annaharonline.com>

الفاخوري ، حتّا ، الموجز في الأدب العربي وتاريخه (I-IV)، دار الجيل ، بيروت، 1411/1991

فضل، صلاح، أساليب الشعرية المعاصرة، بيروت، 1995

قيّش، أحمد، تاريخ الشعر العربي الحديث، بدون محل، 1971

القري، محمد عوض، الحدائثة في ميزان الإسلام، بلا محل، بلا تاريخ

قطب، محمد، جاهلية القرن العشرين، مكتبة وهبة، 1964/1384

_____ ، التطور والثبات، مكتبة وهبة، بلا تاريخ

LANDAU, Jacob M., (Die Geschichte der modernen Arabischen Literatur, 20. Jahrhundert) Modern Arap Edebiyatı Tarihi (20. Yüzyıl), Çev. Bedrettin Aytaç, Birinci baskı, Ankara, 2002

نعیمة ، میخائیل ، جبران خلیل جبران ، بیروت ، 1944

وهبة، مجدی — المهندس، کامل، معجم المصطلحات العربیة فی اللغة والأدب، بیروت، 1984

یعقوب، إعیل بدیع — عاصی، میثال، المعجم المفصل فی اللغة والأدب (I-II)، بیروت، 1987

